الطريقة التكاملية في تعليم اللغة

أ. فريد خلفاوي، جامعة حمة لخضر بالوادي
أ.د: بلقاسم مالكية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص:

يتناول هذا المقال إشكالية هامة في تعليم اللغات خاصة اللغة العربية، هي الطريقة التكاملية في تعليمها، فلكي يكون هذا التعلّم ناجعا، حيث يكتسب المتعلم اللغة بشكل صحيح، لابد من اختيار الطريقة المثلى في تعليمه إيّاها، ونظرا لأن الطريقة عنصر أساس في العملية التعليمية التعلّمية، فإن عملية التعلّم تتوقف على مدى نجاعتها وفاعليتها، فبالنظر للغة على أنها كل متكامل وفق المنظور اللساني الحديث، ينبغي تعليمها وفق طريقة تراعي هذا التكامل اللغوي، من هنا سميت هذه الطريقة المقصودة **بالتكاملية**، كما يطلق عليها في عرف المقاربات اسم "" **المقاربة النصية** ""

إن هذه الدراسة تعالج هذه الإشكالية فتتعرض إلى مفهومها وخصائصها وأهميتها والأهداف التي تروم تحقيقها،وتبيّن البيداغوجيات المستعملة في تطبيقها، وجدلية ظهورها مع التطورات التربوية الحديثة، وتبيان جذورها الأولى في تعليم اللغة العربية، لنخلص في الأخير إلى نجاعة تعليم هذه اللغة وفق هذه الطريقة من عدمها.

SUMMARY

This article addressesan importantproblematicinteaching languages, especially in Arabiclanguage, WhichIs the perfect mannertoteach it, to be effective, learning where a learner acquires the language correctly , you must choose how best to teach it , Because themethodis an essential elementinthe educational and learning process , that the learning process depends on the extent of its efficacy and its effectiveness, given to language as a whole in accordance with themodern lingual perspective , should be taught in a manner which takes into account the linguistic integration, here This intended method is called**" *the integration*"**,as it's called in custom approaches as **"*textualapproach*".**

This study treats this problematic, exposed to its concept, its characteristics and its Importance and the objectives that aim to achieve, and indicate the used pedagogies in the application, and the dialectic of appearance with modern educational developments, and to indicate the first roots in teaching the Arabic language, finally we conclude to the efficacy of teaching this language in this way or not .

مدخل: الطريقة التكاملية «la manière intégrative» هي إحدى الطرائق التعليمية الحديثة التي أنتجتها التطورات الحديثة في علوم التربية، وقد أُعتمدت في المنظومة التربوية الجزائرية مع الإصلاحات التربوية الأخيرة، وبالتحديد مع بيداغوجيا التدريس بالكفاءات، وقبل أن نتطرق إلى مفهوم

هذه الطريقة وخصائصها وأهدافها والبيداغوجيات المستعملة فيها، لابد من إلقاء النظر إلى فكرة التكامل، وجذورها الأولى خاصة في تعليم اللغة العربية،والظروف التي دعت إلى تطبيقها.

1- فكرة التكامل في تعليم اللغة العربية:

إن فكرة التكامل في تعليم اللغة العربية لم تكن حديثة الوجود كما يرى بعض الدارسين، فكثيرا من الباحثين يُرجعون ظهور التكامل اللغوي إلى المدارس البنيوية المعاصرة التي تنظر للغة على أنها بنى متكاملة، فقد أدرك اللغويون العرب السابقون التكامل اللغوي وفهموا معناه بشكل واضح جلي، ودرسوا اللغة العربية وفق هذا المنظور، حيث كانوا يتخذون النص الأدبي (شعرا كان أم نثرا أم نصا قرآنيا) محورا تتجمع حوله جميع أنواع البحوث والدراسات اللغوية، كتفسير المفردات،وشرح العبارات،والكشف عن الصور البلاغية، وتحديد المسائل النحوية والصرفية والصوتية ودراستها، وغيرها من المسائل اللغوية.

وفي العصر العباسي كان تدريس اللغة العربية في حلقات المساجد والكتاتيب يسير وفق المنهج التكاملي، حيث كان العلماء من أهل اللغة العربية يُدرّسون طلبتهم جميع العلوم اللغوية من خلال النصوص القرآنية والقصائد الشعرية والخطب والرسائل وغيرها من مختلف أنواع النصوص.[1]

ومن القدامى الذين سلكوا هذا المسلك في كتاباتهم "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين"، و"أبو العباس المبرد" في كتابه "الكامل في اللغة والأدب"، و"أبو علي القالي" في كتابه "الأمالي"، و"الشيخ حسين المرصفي" في كتابه "بغية الأمل"، وغيرهم كثير.[2]

أما في العصر الحديث فقد ظهرت للوجود نظريتان في تعليم اللغة العربية هما: **نظرية الوحدة ونظرية الفروع**، والمراد **بالنظرية الأولى** أن ننظر للغة على أنها وحدة متماسكة مترابطة الأجزاء وكل متكامل، وليست أجزاء مفرّقة وفروعا مجزأة، أو أنشطة مختلفة منفصلة عن بعضها بعضا، ولتطبيق هذه النظرية في تعليم اللغة العربية يُتخذ النص محورا تدور حوله جميع الدراسات اللغوية، يكون هذا النص هو موضوع القراءة، وموضوع التعبير والخط، وموضوع النحو وموضوع الإملاء وغيرها من أنشطة اللغة العربية، وترتكز هذه النظرية في التعليم على أسس نفسية وأسس تربوية وأخرى لغوية، فمن الأسس النفسية التي فيها تجديد نشاط المتعلمين وتشويقا لهم دفعًا للسأم والملل عنهم، وذلك لتنوع العمل وتلونه، حيث تَعدّ العقلَ وحدة متماسكة وكل متكامل، وليس مكوّنا من ملكات متعددة، كل ملكة مستقلة عن الأخرى، ومن الأسس التربوية التي تقوم عليها هذه النظرية أن العملية التعليمية التعلّمية وحدة متكاملة مترابطة الأجزاء، يتم الربط فيها بين ألوان الدراسات اللغوية المختلفة لتتفاعل فيما بينها من أجل تحقيق هدف موحد، مفاده أن يبلغ المتعلم مستوى مطلوبا من النمو اللغوي، ومن الأسس اللغوية أنها مسايرة للاستعمال اللغوي حينما نستعمل اللغة في التعبير مشافهة وكتابة، فتصدر في كلامنا أو كتاباتنا عن ثقافتنا اللغوية وحدة مترابطة، فيظهر فيه مدى إلمامنا بالنحو وحذقنا للصرف والإملاء، وقدرتنا على نسج العبارات الملائمة المنسجمة.[3]

أما **نظرية الفروع** في تعليم اللغة العربية فتُقسّم اللغة فروعا، ولكل فرع منها منهجه الخاص وكتبه المقررة وحصصه المبرمجة وطريقة تناوله، فنشاط المطالعة مثلا يختلف في جميع عناصره عن

نشاط المحفوظات الذي يختلف بدوره عن نشاط التعبير ونشاط القواعد ونشاط البلاغة وغيرها من الأنشطة اللغوية.

ولتطبيق هذه النظرية يُعالج كل فرع من هذه الفروع على أساس منهجه المرسوم في حصصه المقررة، ووفق طرائقه الخاصة به باستعمال الكتب المخصصة له.[4]

ويحاول البعض من الباحثين التوفيق بين النظريتين من خلال الانتفاع بمحاسنهما، ذلك على أساس ألاّ نعتبر أي فرع من فروع اللغة العربية قسما مستقلا بذاته، منفصلا عن غيره من الأقسام الأخرى، بل نعدّ الفروع جميعا أجزاء شديدة الاتصال بكلٍ واحدٍ هو اللغة.[5]

2- الدعوة إلى التكامل:

وفي العصر الحديث أصبحت الدعوة إلى التكامل في الخبرة التربوية واقعا ملموسا من أجل تقدُّم المتعلم، حيث شهدت العملية التعليمية التربوية تطورا شاملا على المستويات العالمية والعربية خلال السنوات الأخيرة، حيث ظهر فيها تحديث لمناهجها في كافة المراحل التعليمية، فظهر ما يسمى بالمنهج التعاملي الذي يُعنى بتعليمية اللغة العربية في ظل التعليم الحديث، نتيجة للدعوات التي دعت إليها النظريات التربوية الحديثة في اكتساب اللغة، ونظريات التعلم بشكل عام خاصة نظرية الجشتالت (الكل أكبر من مجموع الأجزاء)، التي تدعو إلى ضرورة التكامل في المعرفة الإنسانية، وبدعوة من بعض المربّين في العالم لاعتبار المواد الدراسية أمرا غير مرغوب فيه، وبهذا الصدد يقول هوايتد: «إن نتيجة تدريس أجزاء متفرّقة من عدد كبير من المواد الدراسية يعني تقبلنا السلبي لأفكار غير مرتبطة...فلتجمل الأفكار الرئيسة التي ندخلها في تربية الطفل ما استطعنا لذلك سبيلا».[6]

يرجع هذا إلى أنه وجد أن تقديم المادة مفككة لا تبقى في ذهن المتعلم، وإن بقت فهي غير مترابطة مع بعضها بعضا، كما أن عقله لا يستطيع أن يُبقي العلاقات المنطقية بين أبواب العلم، حيث يرى محمد الكردي في ذلك أنّ الفصل بين المواد الدراسية، وانفصال كل معلم بمادته، انفصال مدّمر في العمل التربوي، والعطاء العلمي النافع والناجح يكون بإسناد المواد إلى بعضها بعضا.[7]

وتلاحقت الدعوات خاصة من بعض التربويين العرب إلى تدريس اللغة العربية وفق المنهج التكاملي نتيجة لما أصاب المنهج التقليدي من فشل، حيث نال قبول هذا التوجه العديد من جماعات المربّين في بعض الدول العربية كالأردن، الجزائر، الكويت، وغيرها.[8]

ومن هذا المنطلق وتبعا لهذه الدعوات السابقة الذكر بادرت العديد من دول العالم المتقدم كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وبعض الدول لاسكندنافية إلى الأخذ بهذا الأسلوب وجعله منهجا في التدريس، وكذلك العديد من الدول العربية.

3-المفهوم التربوي للتكامل :

يُعرّف التكامل بأنه:«تحقيق الكليّة والكمال والإكمال والوحدة»[9]، والتكامل يحدث في الفرد المتعلم، وهو عملية تركّز على أن ما يتعلمه الشخص جزء من شخصيته، يدخل فيما لديه من فهم وإدراك وقدرات واتجاهات، تغدو مجتمعةً عواملَ حيوية تحدث تغييرات فيه، فلا تكون مجرد إضافات إلى مجموع ما لديه، وتصبح ما تعلّمه من أشياء مفيدة وذات معنى مترجمةً في سلوكه، وتستمر معه لتتفاعل مع خبرات أخرى.[10]

ويشير التكامل كذلك إلى علاقة الفرد بالآخرين في مجتمعه، من خلال فهمه لهم وانسجامه معهم، واستيعابه لنظم ومواقف مجتمعه، فالفرد المتكامل هو القادر على مواجهة الحياة وتحليلها، فأسمى ما يهدف إليه التكامل التربوي هو الحصول على فرد متكامل، يتماشى مستواه العقلي ونضجه الجسمي مع واقعه الاجتماعي والثقافي.[11]

ولكي تُحقق التربية هذا الهدف الأسمى الذي يسعى إلى إحداث التكامل في خبرات الفرد ومعلوماته، لابدّ أن تكون طريقة التواصل تكاملية، تكاملية في أشكال المعرفة والمواد والخبرات التي يكتسبها المتعلم، تكاملية في مسؤوليات عناصر المؤسسة التربوية والمجتمع، تكاملية في الأنشطة والوسائل التعليمية وأساليب التعليم وطرائقه، تكاملية مستمرة في عمليات التقويم المختلفة.[12]

«إن الأسلوب التكاملي في تنظيم المحتوى التعليمي الذي يقدم للمتعلم فكرة حديثة أجريت حولها أبحاث عدة، وأثبتت الدراسات قدرتها على تحقيق الأهداف التربوية، حيث يقوم أسلوب التكامل في بناء المحتوى التعليمي على أحدث معطيات علم النفس التربوي، فالتعلّم يقوم على أساس نشاط المتعلم ودافعيته، فهو لم يتعلم إن لم يُثْبِت فائدته ووجوده، كما أنه يعترف بالفروق الفردية بين المتعلمين فيقدم أنشطة تعليمية تكون في حدود كل متعلم وقدراته».[13]

لقد اعتمد "شبيرت" على مبدأ مهم في أسلوب التكامل، هو أن يقوم المتعلمون بتحمل مسؤولياتهم في تعليم أنفسهم، ويرى "وايت" ضرورة وجود مجموعة من القرارات التي تتطلب من المعلمين العمل في مجالها، هي: تنظيم المعرفة، اختيار الأساليب التعليمية المناسبة، وضبط عملية التعلم باحترام العلاقة بين الخصوصية الشخصية للمعلم والمتعلم، ويذكر "عبد الموجود" عدة مبادئ لتنظيم عملية التعليم بالطريقة التكاملية، منها أن يكون المعلم على علم بخصائص متعلّميه وبظروفهم وبيئتهم، وأن يكون على علم بالفلسفة الاجتماعية التي توجّهه أو توجّههم.[14]

ويقارن "برنستين" بين المنهج المتكامل وغير المتكامل، فيقول: «إن المنهج غير المتكامل يُوجِد مجتمعا مغلقا، حيث يكون لكل موضوع حدوده، وقيّمه الخاصة، بينما المنهج المتكامل يُوجِد مجتمعا مفتوحا».[15]

فالمنهج التكاملي إذًا موضوعاته متداخلة في حدودها وقيّمها، يظهر لدى المتعلمين نحو المعرفة في اتجاهات تعاونية، والمنهج غير المتكامل يشعر فيه المتعلمون أن المعرفة ملك خاص، يعملون بشكل فردي للوصول إليها، فينعكس بشكل سلبي على العلاقة بين المعلمين والمتعلمين من جهة، وبين المتعلمين أنفسهم، فالمنهج غير المتكامل فيه العلاقة غير صحيحة، بينما المنهج المتكامل تكون فيه العلاقة قوية.[16]

4- التكامل اللغوي:

إذا كان التكامل بين المواد الدراسية مهما وواجبا، فإن التكامل بين فروع اللغة أهم وأوجب، والأهم في هذا أن تُقدّم اللغة للمتعلم باعتبارها مادة دراسية متكاملة، فهي موضوع متكامل، يتكون من فروع متعددة كالقراءة، القواعد، التعبير وغيرها، حيث تُعدّ أجزاءً غير منفصلة لكلٍّ واحدٍ، وتجزئتها إنكار للحقيقة.[17]

إن التكامل اللغوي أساس من أسس تطوير مناهج اللغة العربية وتعلمها، فاللغة وحدة بطبيعتها، وإلغاء الفواصل الصناعية بين فروعها أمر مطلوب إن لم نقل واجب، خاصة في المراحل الأولى من التعليم، حيث أن اللغة التي نبدأ بها مع الطفل تراعي التكامل، فهي تعينه على اكتساب مهارات وقدرات كثيرة مختلفة يمكن أن يوظفها في مجالات عديدة في حياته اليومية.[18]

ومن بين المصطلحات التي أطلقت على التكامل اللغوي "المقاربة النصية"، والمراد بها: «أن يكون النص محورَ جميع التعلّمات المختلفة، محور النشاطات الداعمة من نحو وصرف وبلاغة وكتابة، فهذه النشاطات هي لخدمة النص، وتعلمها يكون بواسطة النص نفسه، بحيث يكون هناك انسجام تام وتناسق يسمح للمتعلم بالوصول إلى استنتاج رئيسي (هو أن اللغة كل متكامل)».[19]

يسمى التكامل اللغوي في بعض الأدبيات المعاصرة بطريقة الوحدة، فهي تجمع النظرية بالتطبيق، حيث يصبح النص فيها ميدانا وظيفيا للنحو والصرف والبلاغة والنقد.[20]

ويعد النص نقلا ممتازا للتطبيق الوظيفي لجميع أنشطة اللغة من نحو وصرف وغيرهما، وهو أيضا محور الدراسات البلاغية والنقدية، فتعلم هذه الأنشطة يكون انطلاقا منه، والرجوع إليه عند تطبيق أية قاعدة لغوية نحوية كانت أم صرفية أم غيرهما، كل هذا من أجل إنشاء نصٍ متكامل[21]

إذًا فالمقاربة النصية تجعل المتعلم يكشف الظاهرة اللغوية من النص، فهي تراعي الانسجام بين الأنشطة، بحيث تنتقل من نشاط إلى آخر دون وجود قطيعة بينه وبين الذي سبقه، وهذا يؤدي بالمتعلم إلى إدراك اللغة ككلٍ متكامل.

إن المنهج التكاملي في تعليم اللغة العربية لا يختصّ بتدريس القواعد فقط، إنما يتجاوزه إلى تعلم كافة أنواع الأنشطة اللغوية، ومنه يُدرّس القواعد من خلال النصوص الأدبية نثرا أو شعرا إلى جانب تدريس القراءة والتعبير والإملاء ونصوص المطالعة.[22]

5-خصائص الطريقة التكاملية:

يقول أنطوان صياح في تعلّمية اللغة العربية: «يُلاحظ في إتباع الطريقة التكاملية أن اللغة تُدرّس بوصفها وحدة متماسكة لا انفصام بين أجزائها كما هو معهود في الطريقة القديمة، وبذلك تجمع النظرية بالتطبيق حين يصبح النص ميدانا وظيفيا للنحو والصرف والبلاغة والنقد... كما يتم إدراك الحقائق من خلال الانتقال من الكل (اللغة متمثلة بالنص) إلى الجزء (المتمثلة بالأحكام المقصودة بالدرس)».[23]

إذًا الطريقة التكاملية في التدريس أو المقاربة النصية تمتاز بجملة من الخصائص والميزات التي تجعل منها الطريقة المثلى في تعليم العلوم عامة، وفي تعليم اللغة العربية خاصة، من بين هذه الخصائص والميزات ما يلي:

أ- تعد التكاملية أسلوبا طبيعيا في الحياة يحقق أمرين أساسيين، الأول وظيفي يتمثل في التعبير عن مواقف الحياة المختلفة، والثاني تعليمي يظهر من خلال إدراك أسرار الإبداع الفني.

ب- تتجاوز عيوب الطريقة التقليدية التي تعتمد على حفظ القواعد المتصلة بكل فرع من الفروع دون إدراك معرفتها الوظيفية المتجسدة في الأداء اللغوي السليم في مواقف الحياة المختلفة.

ج-تربط بين فروع اللغة؛ لأن اللغة أساسها الوحدة، وما الفروع إلا مظاهر لتلك الوحدة، فهي تحقق الارتباط والتكامل.

د- تجزئة الفروع عند تدريسها تؤدي إلى شعور المتعلمين بأنها غاية لذاتها، فالكثير من المتعلمين يشعرون أن الإملاء منفصل عن التعبير، وهما منفصلان عن القواعد... وهكذا، لذا يلجأ بعضهم إلى إتقان أحدها وإهمال الآخر، وقد غاب عن بالهم أن إتقان القواعد النحوية يفضي إلى جودة القراءة وإلى حذق الإملاء وإلى القدرة على الاستظهار الصحيح وحسن الإلقاء...والتكاملية تقضي على هذا الشعور.

هـ- إن الطريقة التكاملية تراعي الجوانب النفسية والتربوية واللغوية المتعلقة بالمتعلم بغية الوصول إلى تعليم ناجح، تُربط فيه جميع جوانب شخصيته.[24]

و-تقوم على تنمية الكفاية التواصلية عند المتعلم، بها تُدرك الغاية من دراسة أحكام اللغة وقواعدها انطلاقا من النصوص المُثْبتة في الكتاب.[25]

ز- الأسلوب التكاملي يلائم طبيعة نمو التلميذ في مراحل التعليم عامة ومراحل التعليم الأولى خاصة، والتي تتسم بالكلية لا الانفرادية.

ح-الطريقة التكاملية توفر الكثير من جهد المدرسين المبذول ووقتهم الذي يضيع جزء منه نتيجة استخدام منهج المواد المنفصلة.

ط- يؤثر التعليم بالأسلوب التكاملي على جميع جوانب شخصية المتعلم، وذلك حينما تُربط ببعضها بعضا من أجل التصدي بشكل صحيح لمواقف الحياة المختلفة.

ي- نواتج التعليم بالأسلوب التكاملي تكون أكثر رسوخا ودواما وأقل عرضة للنسيان.[26]

إذا فالطريقة التكاملية في تدريس اللغة العربية لا يُدرّس فيها كل نشاط بمعزل عن باقي الأنشطة اللغوية، إنما يبقى متصلا بها، إذ أن كل أنشطة اللغة العربية تنطلق من النص الواحد، ويخدم كل نشاط الآخر، ويُوظف فيها حسب الحاجة، ذلك من أجل تنمية القدرات والمهارات للوصول إلى الكفاءات المرجوّة في مدة زمنية محدّدة.[27]

6- البيداغوجيات المستعملة في الطريقة التكاملية:

كما سبق أن رأينا أن الطريقة التكاملية تستقيم مع منهجيات معينة، فهي تتطلب أسلوب تدريس يأخذ الفروق الفردية بين المتعلمين بعين الاعتبار، وكيفية تقديم الدعم لهم حسب هذه الفروق، حيث تُستعمل في هذه الطريقة عدّة وسائل وإجراءات تعليمية قصد بناء الكفاءات وتحقيقها.

إنّ الطريقة التكاملية باستعمالها هذه الآليات في تحقيق الكفاءات المحددة مسبقا يلزمها استعمال بيداغوجيا التدريس بالكفاءات التي تستند مقاربتها إلى نظام متكامل مندمج من المعارف والأداءات والخبرات والمهارات المنظمة، بحيث تتيح للمتعلم وفق وضعية تعليمية تعلّمية القيام بما طُلب منه، «ويعتبر التدريس بالكفاءات منهاجا للمتعلم curriculum وليس برنامجا programme للتعليم، تعلّم يهدف إلى إكساب المتعلم كفاءات (معارف وقدرات ومهارات) وليس تعليما لتكديس المحفوظات أو المعلومات، تعلّم يرتبط أساسا بالحياة».[28]

إذا التدريس بالكفاءات يتميّز بالدينامية، ويفتح مجالا واسعا للممارسة التعليمية، حيث يجعل المتعلم عنصرا فاعلا في العملية التربوية، يُسهم في تكوين قدراته ومهاراته بشكل كبير، ويفسح المجال لطاقاته وخياله الخصب، ويعمل على توظيف مكتسباته القبلية.[29]

إن بيداغوجيا التدريس بالكفاءات نشاط معرفي تعلّمي، لا يستقيم إلا مع منهجيات محددة كمنهجية حل المشكلات، والمقاربة التواصلية، ومنهجية المشروعات، لأن هذه البيداغوجيا في التدريس تعدّ التعلم ممارسة فردية واشتغال ذاتي للمتعلم، وهذه المنهجيات تراعي هذا الجانب.[30]

فبيداغوجيا التدريس بالكفاءات تعتمد منهجية المشروعات، ومنهجية حل المشكلات كآليات تربوية من أجل الوصول بالمتعلمين إلى الاعتماد على أنفسهم، والتعرف على قدراتهم الكامنة واكتشافها، وكيفية استثمارها بُغية توظيفها في جميع أنشطتهم التعليمية والاجتماعية والمهنية على أكمل وجه، كل هذا من أجل الوصول إلى الحلول الممكنة للمشكلات المطروحة، وإتمام المشاريع التعلّمية المقصودة بشكل ذاتي وفاعل، والهدف من هذا الوصول إلى تحقيق الكفاءات المستهدفة، واستثمارها بغية الوصول إلى الهدف الأسمى وهو تكوين فرد متكامل فاعل من خلاله نتوصل إلى تكوين مجتمع متكامل في جميع الجوانب.

ويمكن عرض هذه المنهجيات وأنواعها، وما تتميز به كل منهجية على حدة، ومدى أهميتها في تحقيق الكفاءات المستهدفة كما يلي:

6-1- منهجية المشاريع:

تقوم المشاريع على أساس ربط التعليم بمختلف جوانب حياة المتعلمين داخل المحيط المدرسي وخارجه، يكون فيه التعليم جزء من حياتهم غير منفصل عن باقي الأجزاء الأخرى، يحيون فيها حياة حقيقية مستندة إلى واقعهم المعيش، حيث يقول محسن علي عطية في ذلك: « وحسب جون ديوي المدرسة يجب أن تكون محلا يحيا فيه الأطفال حياة اجتماعية حقيقية، يتدرّبون فيها على مواجهة مشكلات حقيقية قد يصادفونها خارج المدرسة، فهي طريقة تربط المدرسة بالواقع الاجتماعي للطفل».[31]

المشاريع منهجية تقوم على فلسفة تربوية حديثة تسعى إلى أن يكون المتعلم إيجابيا وفاعلا في عملية التعلم، وأن يبحث عن المعرفة بنفسه فيكتشفها ويكتسبها بجهده، لأن التعلم الحقيقي حسب علماء النفس وعلماء التربية على حد السواء هو تلك المعرفة التي يتوصل إليها المتعلم بنفسه، ويكتشفها بذاته، ودور المعلم فيها لا يتعدّى التوجيه والإرشاد، ويقول محسن علي عطية أيضا في ذلك: «...وتهدف إلى تدريب المتعلم على أسلوب البحث عن المعرفة من مصادرها المتنوعة، ذلك لأنّ ما توصل إليه المتعلم بنفسه وجهده سيحتفظ به مدة أطول، ويستخدمه لمواجهة المواقف التي تعترضه في حياته اليومية».[32]

إذا المشروع عمل مقصود مبرمج مسبقا يتضمن هدفا معينا متصلا بالحياة، عمل ميداني يقوم به المتعلم، يتّسم بالعلمية والعملية تحت إشراف وتوجيه المعلم، على أن يكون هذا العمل هادفا، ويقدم خدمة للمادة العلمية، ويتم في بيئة اجتماعية محددة، ومنهجية المشروع أسلوب من أساليب التدريس الحديثة، فبدلا من دراسة المنهج بصورة دروس يقوم المعلم بشرحها وتلقينها، ويتولى المتعلم

الإصغاء إليها وحفظها كما في الطرائق التقليدية، فإن المتعلم فيه يقوم بعمل في صورة مشروع يضم عددا من أوجه النشاط الواحد، ويكون فيه هو الفاعل، فيكتسب الخبرة بشكل مباشر وبطريقة عملية تطبيقية دون تلقين أو حشو.(33)

- **أنواع المشاريع:**

المشاريع التربوية كثيرة ومتعددة ومختلفة أيضا، لا يمكننا عرضها وطرحها لأنها تعالج جوانب عدة في شخصية المتعلم، لكن يمكن حصرها حسب زاوية النظر إليها، فيمكننا تقسيمها حسب المتعلمين أو حسب المحتوى أو حسب الأهداف، وكل نوع منها يضم عددا هما من أنواع المشاريع.

فمن حيث **المتعلمين** (عدد المشاركين) تُقسم المشاريع إلى ما يلي:(34)

1. المشاريع الفردية: هي المشاريع التي يتولى فيها طالب عملا ما لوحده، يكون المشروع إما موحدا ينجزه كل طالب لوحده، أو يكون لكل طالب مشروع خاص، يقوم به بنفسه.
2. المشاريع الجماعية: هي المشاريع التي تنجز من قبل جميع المتعلمين أو معظمهم، يكون فيها العمل على شكل أفواج أمجموعات تعاونية.

ومن حيث **المحتوى** فتنقسم إلى:(35)

1. المشاريع المكتبية: يقوم فيها المتعلمون بكتابة التقارير والملخصات التي يكلفون بها كل حسب اختصاصه ومستواه الدراسي، ثم تُعرض على المتعلمين وتُناقش.
2. المشاريع التصميمية: يقوم فيها المتعلم بتصميم النماذج المطلوبة منه، وفق آليات محددة، بشكل فردي أو مجموعات تعاونية، ثم تُعرض على المعلم.
3. المشاريع التطوّرية:وهي مشاريع الهدف منها تطوير آليات معينة حسب مستوى المتعلمين، فتتناول الأجهزة والأنظمة مثلا لتصبح أكثر تطوّرا.
4. المشاريع البحثية: تهتم بدراسة مشكلة ما بعد طرحها ومناقشتها، من أجل التوصل إلى الحل على طريق البحث فيها كما يمكن أن تكون فردية أو جماعية حسب نوعية المشكلة والهدف التعليمي منها.

أمّا من حيث **الأهداف** فتقسّم إلى:(36)

1. مشاريع بنائية: تتجه هذه المشاريع نحو العمل والإنتاج أو صنع أشياء، وذلك من خلال ربطها بالواقع المعيش، فيُختار العمل فيها على أساس احتياجات المتعلم واهتماماته.
2. مشاريع استمتاعية: القصد من هذه المشاريع هو التعلم عن طريق الاستمتاع، مثل الرحلات التعليمية والزيارات الميدانية التي تخدم مجال الدراسة.
3. مشاريع في صورة مشكلات: وهي تهدف أساسا إلى الوصول إلى حل مشكلات معينة، أو محاولة الكشف عن أسبابها وطرق معالجتها.
4. مشاريع مهارية: وهي مشاريع تهدف إلى اكتساب مهارات عملية أو اجتماعية مختلفة، حيث يُوضع المتعلم أمام مشكلات حقيقية متصلة بهذه الجوانب والمطالبة بحلها.

2-6- منهجية حل المشكلات:

هي إحدى المنهجيات التي أفرزتها الطرائق التعليمية الحديثة،تقوم أساسا على طرح مشكلات والمطالبة بحلها قصد بناء كفاءة معينة، فهي تهتم بطرائق التفكير في إيجاد الحلول العملية الممكنة

للمشكلة المطروحة، وتقوم هذه المنهجية على إعمال العقل والتفكير والتعاون بين المتعلمين مع بعضهم بعضا، مستندين إلى مكتسباتهم القبلية وقدراتهم ومهاراتهم، وخبراتهم في المواقف المشابهة التي يمكن أن اعترضت سبيلهم سابقا تعليمية كانت أو حياتية، ومع المعلم إن اقتضت الضرورة ذلك، بحيث يكون دور المعلم فيها موجّها ومنظّما فقط للوصول إلى الحلول الممكنة بطريقة ذاتية معتمدين فيها على أنفسهم أو على بعضهم بعضا، لأن التعلم الذاتي يبقى راسخا في المتعلم مدة أطول، خاصة إذا كان عمليا، وأُعيد توظيفه في وضعيات مماثلة.(37)

وهي: «طريقة لها أهميتها للمتعلم، فهي تعزّز ثقته من خلال الاعتماد على نفسه في التوصل إلى الحلول الصحيحة للمشكلة المطروحة، أو المشكلة التي تواجهه، ويشعر بأنه في حاجة إلى إيجاد الحلول لها».(38)

منهجية حل المشكلات تُشدّد على أسلوب البحث عن الحلول والكيفيات اللازمة لاكتشاف ذلك الحل من قبل المتعلمين بشكل ذاتي تحت إشراف المعلم وتوجيهه، وهي طريقة تساعد المتعلمين على اكتساب مهارات تساعدهم وتمكّنهم من مواجهة مواقف تعليمية أو مواقف مرتبطة بجوانب الحياة المختلفة مخطط لها مسبقا، فهي تعمد إلى إثارة مشكلة معينة متعلقة بالمتعلمين، تثير اهتمامهم، تتصل بحاجاتهم وتدفعهم إلى التفكير والبحث عن حلّ لها، ولا يتأتّى ذلك إلا بالبحث والدراسة والتحليل، وعند توصلهم إلى حل هذه المشكلة يتوصّلون إلى نتائج إيجابية تكسبهم مهارات وخبرات في حل مشكلات مماثلة.(39)

ولا نضع في حسباننا أن الوضعية المشكلة هي وضعية تعليمية آلية، إنما هي وضعية لا يستطيع فيها المتعلم حل المشكلة بكل سهولة، أو تكرار بسيط لمعارف مكتسبة بشكل آلي وبكل يسر، ذلك لأن المهمة المطلوب إنجازها من قبل المتعلمين قد تم تشكيلها وبناؤها على أساس أنها تستدعي تجاوز عائق يفرض عليهم تجنيد كل مواردهم ومعارفهم ومكتسباتهم وفحصها، ووضع فرضيات مناسبة وتمحيصها بشكل جدّي ومن ثمّ التوصل إلى إثباتها أو نفيها أو تعديلها، وإيجاد الحلول أو القرارات المناسبة لها، وبناء معارف جديدة، ومعارفه وموارده القديمة ينبغي استعمالها بطريقة ذكية في وضعيات جديدة.(40)

7- أهداف الطريقة التكاملية:

الطريقة التكاملية تتميز عن غيرها من الطرائق بمجموعة هامة من الخصائص والميزات التي تجعل منها السبيل الناجع في تعليم اللغة، حيث تسعى من خلال هذه الخصائص إلى تحقيق جملة من الأهداف خاصة على مستوى تعليمية اللغة العربية، ومن بينها:(41)

أ- دفع الملل عن المتعلمين وجعلهم يُقبلون على التعليم برغبة وفعّالية أكثر خاصة في تعليم اللغة العربية، فهي تعتمد على مبدأ التدرّج في عرض وتقديم الأنشطة اللغوية، إذ تنتقل بين القراءة والكتابة والاستماع والتحدّث مستندة إلى مجموعة من الأدوات والأساليب المنهجية، تجعل من هذه الأنشطة غير منفصلة عن بعضها للوصول إلى اكتساب اللغة ككلٍّ متكامل.

ب- تسعى الطريقة التكاملية في ظل تدريس اللغة العربية إلى تزويد معارف المعلمين وخبراتهم وتطويرها، وتدفعهم إلى العمل على رفع مستواهم العلمي والتربوي، حيث ينعكس ذلك حتما على

تطوير أنفسهم ومعارفهم في كافة المجالات، والتأثير على طلابهم بشكل ايجابي، والسير بهم نحو الأفضل.

ج- تدعو هذه الطريقة إلى ضرورة التفاعل بين جميع عناصر العملية التعليمية التعلمية المتكونة من المعلم والمتعلم والكتاب والمادة التعليمية والوسائل التعليمية بأنواعها، ومراعاة الظروف المحيطة بهذا التفاعل، فمن خلاله يكون تعلم اللغة العربية سهلا وممتعا.

خلاصة:

بعد عرض خصائص وأهداف الطريقة التكاملية يمكننا القول أنّ هذه الطريقة تعمل على تمكين المتعلم من اكتساب المعرفة والكفاءة والشّخصية المتوازنة الفاعلة التي تبني ذاتها بشكل سليم ومجتمعها المتوازن، هذا الهدف لا يمكن بلوغه إلا من خلال مناهج وبرامج تربوية تشكّل لَبِنات متينة تُسهم في بناء الكفاءات، مما يتطلب دراسة معمقة وجادّة، ووضع مخططات تعليمية مرنة، تقوم على وضعيات قابلة لإنتاج تعلّمات حقيقية، هذا المنظور التعليمي التعلّمي يستدعي تصورا آخرا لفعل التقويم عبر تقويم الكفاءات، مما يسمح باتخاذ قرار حول مدى تحقيق هذه الكفاءة من عدمه، وهذا يتأتّى من خلال وضع معايير للأداء والإنتاج والتصحيح لتبيين درجة التّمكن من الكفاءة المستهدفة، والعمل على تحقيقها، والاستفادة منها في الوضعيات المماثلة، وربط ذلك بحياة الفرد.

الهوامش

(1) سعيد محمد مراد، التكاملية في تعليم اللغة العربية، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2002، ص23.

(2) المرجع نفسه ، ص22.

(3) المرجع نفسه، ص131.

(4) المرجع نفسه ، ص 25.

(5) المرجع نفسه، ص26.

(6) المرجع نفسه، ص 19.

(7) المرجع نفسه ، ص20.

(8) محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ص،168، ومحمد جهاد جمل، تعميق عمليتي التعليم والتعلم بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية، 2001، ص149.

(9) سعيد محمد مراد، المرجع السابق، ص17.

(10) ينظر: المرجع نفسه، ص17.

(11) المرجع نفسه ، ص15.

(12) المرجع نفسه، ص17.

(13) المرجع نفسه، ص17.

(14)المرجع نفسه، ص18.

(15)المرجع نفسه، ص18.

(16)المرجع نفسه، ص18.

(17)المرجع نفسه، ص20.

(18)المرجع نفسه ، ص20.

(19)وزارة التربية الوطنية، دليل الأستاذ في اللغة العربية -للسنة الرابعة من التعليم المتوسط، (د،ط)، 2006، ص3.

(20)محمد كشاش، تعليمية القواعد النحوية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2006، ص130.

(21)طه علي حسين الدليمي وسعاد عبد الكريم الوائلي، الطرائق العملية في تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2003.، ص74.

(22)محمد كشاش، المرجع السابق، ص130.

(23)أنطوان صيّاح وآخرون، تعلّمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2006. ص130.

(24)انظر هذا المقال، ص 2.

(25)محمد كشاش: المرجع السابق، ص132.

(26)محمد سعيد مراد، المرجع السابق، ص36-37.

(27)المرجع نفسه، ص19.

(28) فريد حاجي، بيداغوجيا التدريس بالكفاءات –الأبعاد والمتطلبات-، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة الجزائر، 2005، ص44.

(29)المرجع نفسه، ص44.

(30) المرجع نفسه ، ص44.

(31)محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ص129.

(32)المرجعنفسه، ص130.

(33) المرجع نفسه ، ص130.

(34)المرجع نفسه، ص130.

(35)المرجع نفسه، ص131.

(36)المرجع نفسه، ص131.

(37)المرجع نفسه، ص138.

(38)المرجع نفسه، ص139.

(39)المرجع نفسه، ص139.

(40)المرجع نفسه، ص140.

(41)محمد جهاد جمل، تعميق عمليتي التعليم و التعلم بين النظرية والتطبيق، ص151-152.